الحكمة في تذييل آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للدكتور حسين بن محمد شريف هاشم[1]

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

فإن القرآن حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، هو حجة الله وعهده، ووعده ووعيده، به يعلم الله الجاهل ويعمل العاقل، وينتبه الساهي، ويتذكر اللاهي، بشير الثواب نذير العقاب فطوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه ومفتاح لبه، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[2].

فإن الله اصطفى لهذه الأمة محمداً صلى الله عليه وسلم من

---

(١) الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بجازان .

(٢) سورة طه، الآية ١١٣ .

بين سائر الأنبياء وفضله عليهم؛ لما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون** »[(١)] .

وأنزل عليه القرآن الكريم وتكفل عز وجل بحفظه وصيانته فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[(٢)]، وجعله هداية للمؤمنين فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[(٣)] .

وقد وقع اختياري على بحث أحسب أن له أهمية كبيرة في المجال العلمي، والتربوي الإيماني، ألا وهو (**الحكمة في تذييل آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) .

ويرجع سبب اختياري للموضوع إلى أن البحث فيه مفيد فائدة جليلة لطلاب العلم والمعرفة، وتتجلى فائدته من خلال صلة هذا البحث بعلوم الدراسات القرآنية واللغة العربية والعلوم الإسلامية والثقافية . بل وتعد الكتابة في هذا البحث من جملة الكتابة حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .

ولقد تناولت الكتابة في هذا البحث على وفق المطالب الآتية :

---

(١) الحديث من صحيح مسلم كتاب المساجد (٥٢٣) ١/ ٣٧١ .

(٢) سورة الحجر، الآية ٩ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩ .

المطلب الأول : تعريفات (التذييل، الأمر، المعروف، النهي، المنكر) .

المطلب الثاني : مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الثالث : مكانة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

المطلب الرابع : الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة .

المطلب الخامس : أجر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

المطلب السادس : صفات الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

المطلب السابع : نموذج من حياة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

وأخيراً فقد بذلت هذا الجهد وحرصت فيه أن أستدل بالحديث الصحيح فإن كان وروده في الصحيحين اكتفيتُ بتخريجه منهما، وإن كان غير موجود فيهما فأسنده إلى مرجعه بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث إن وجد، وأن أوثق الأقوال من مصادرها وأسير في صياغة البحث على طريقة علمية بلغت في ذلك جهدي أن تكون صواباً، فما كان فيها من صواب فمن الله عز وجل، وما كان فيها من خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفرُ الله منه .

وأسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ونسأله

أن يجزل لنا المثوبة والأجر يوم أن نلقاه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المطلب الأول : تعريفات (التذييل، الأمر، المعروف، النهي، المنكر)

١ ـ تعريف (التذييل) في اللغة والاصطلاح :

لغة : مصدر ذيل للمبالغة، وهو لغة جعل الشيء ذيلاً للآخر .

واصطلاحاً : أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول، تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه، ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه، كقوله : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ﴾ ثم قال عز من قائل : ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ أي : هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور، فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة[١] .

٢ ـ تعريف (الأمر) :

الأمر معروف نقيض النهي، يأمره أمراً وإماراً فأتمر أي قبل أمره، قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[٢]، أي : أمرنا للإسلام، وقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[٣]، أمر

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٦٨ .
(٢) سورة الأنعام، الآية ٧١ .
(٣) سورة النحل، الآية ١ .

الله ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب[١].

٣ ـ تعريف (المعروف) :

المعروف ضد المنكر، وهو اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه[٢].

والمعروف اصطلاحاً : كل ما كان معروفاً ففعله مستحسن غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفاً؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله[٣]، وقيل : هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات[٤].

٤ ـ تعريف (النهي) :

خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهياً فانتهى وتناهى كفّ، ونفس نهاة منتهية عن الشيء، وتناهوا عن الأمر وعن المنكر نهى بعضهم بعضاً، يقال : كفى الشيب والإسلام للمرء نهياً وردعاً [٥].

تعريف (المنكر) :

الإنكار ضد العرفان، وأصله : أن يرد على القلب ما لا

---

(١) اللسان مادة (أمر) ١/ ٢٦ .
(٢) تاج العروس مادة (عرف) ٦/ ١٩٢ .
(٣) تفسير الطبري ٤/ ٣٠ .
(٤) اللسان مادة (عرف) ٩/ ٢٤٠ .
(٥) اللسان مادة (نهى) ١٥/ ٣٤٤ .

يتصوره، كقوله : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾[١]، ﴿ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[٢]، وقد يستعمل فيما ينكر باللسان، وسبب الإنكار باللسان هو الإنكار بالقلب لكن رُبَّما ينكر اللسان الشيء وصورته في القلب حاصلة، ويكون في ذلك كاذباً كقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[٣]، وقوله : ﴿ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[٤].

وفي الاصطلاح : المنكر : كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم الشريعة بقبحه وإلى ذلك قصد بقوله : ﴿ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٥]، ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٦][٧].

المطلب الثاني : مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يرد في القرآن الكريم أحياناً وعد من الله للآمرين بالمعروف

(١) سورة هود، الآية ٧٠ .
(٢) سورة يوسف، الآية ٥٨ .
(٣) سورة النحل، الآية ٨٣ .
(٤) سورة غافر، الآية ٨١ .
(٥) سورة التوبة، الآية ١١٢ .
(٦) سورة المائدة، الآية ٧٩ .
(٧) المفردات ص ٥٠٥ .

والناهين عن المنكر بالفوز والنجاة كما في قوله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] .

ومادة الفلاح في اللغة بمعنى : البقاء والظفر وإدراك المنية، وذلك ضربان : ديني ودنيوي؛ فالدنيوي الظفر بالسعادة التي تطيب بها حياة الأمة . والديني الظفر بعمل الطاعات . ومنها قول المؤذن : (حي على الفلاح) أي : الظفر الذي جعله الله لنا بالصلاة[2] .

فالذي يقوم بتنفيذ أمر الله بالقيام بالواجب الذي كلف الله به أولياءه ابتغاء مرضاة الله فإنه يدرك مناه، ويظفر بموعود مولاه بالفوز الذي لا نظير له، وهو الجنة التي وعدها الله المتقين الأبرار؛ ذلك لأنهم اشتغلوا بدلالة الناس إلى الخير والمعروف، يقومون برسالات الله متأسين في ذلك بخير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهذه سبيله كما في قوله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[3] . فختم الله الآية التي فيها الدعوة إلى الخير بقوله : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

والمقصود بشارتهم بالفلاح الكامل إن فعلوا ذلك؛ لأن هذه الجملة حال من (أمة) .

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤/٢١٣ .

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

فأمة الإسلام حالها يهتم بالدعوة إلى الخير وأفرادها كذلك، فكل عضو في هذه الأمة همه الدعوة إلى الخير، والقيام به آناء الليل وأطراف النهار؛ فلذا كتب الله لهم الفلاح وبشرهم به، فتجد في حياتهم الراحة والأنس مع أنهم يجهدون أنفسهم ويبذلون أوقاتهم وأموالهم ويسخرون كل ما آتاهم الله من فضله في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك بسبب ما حباهم الله به من هذه البشارة .

وأما في الآخرة فهم وفد الرحمٰن؛ لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1]، تتقدمهم الملائكة وتبشرهم، ويؤمنهم الله من الفزع الأكبر؛ لقوله : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[2]، فالرحمن سبحانه وعدهم بأنه سيجعل لهم وداً؛ لقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾[3].

ومما يدل على مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة مريم، الآية ٨٥ .
(٢) سورة النمل، الآية ٨٩ .
(٣) سورة مريم، الآية ٩٦ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٠ .

قال أبو هريرة : نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام .

وقال ابن عباس : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وشهدوا بدراً والحديبية .

وقال عمر : من فعل فعلهم كان مثلهم[1] .

نالت هذه الأمة الخيرية والتفضيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولذا فقد بشر الله بهذه الأمة في الكتب السابقة وبين بأنها خير أمة؛ لأن المنقادين إلى الله منهم أكثر؛ ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى، ومتى ما قلّ فيهم الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي : بمعنى يتركون الأمر ويرون المنكر ولا يغيرونه فإن ما ميزهم الله به من التفضيل يزول ويحلّ محله ما يكون سبباً في دمارهم وهلاكهم .

وختم الله الآية بقوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ لأن ذلك التفضيل قد كان لأهل الكتاب؛ لقوله : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2]، يذكرهم نعمه التي أنعم بها على آبائهم : اصطفاؤه منهم الرسل وإنزاله عليهم الكتب، واستنقاذه إياهم مما كانوا فيه من البلاء من فرعون وقومه، إلى التمكين لهم في الأرض وتفجير عيون الماء من الحجر وإطعام

---

(١) تفسير القرطبي ٤/ ١٧٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٧ .

المنّ والسلوى . فأمر جل ثناؤه أعقابهم أن يكونوا على ذكر من هذا التفضيل والتكريم، وألا ينسوا نعم الله إلى آبائهم فيحلّ بهم من النقم ما حل بمن نسي نعمه وكفرها .

﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي : عالمي زمانهم وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل أن يغيروا . وتفضيل الآباء شرف الأبناء، فقد غمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى هذا التفضيل، فنبههم الله بقوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وفي هذا إشارة إلى إمكان تحصيلهم على هذا الفضل والشرف مع ما فيه من التعريف بهم؛ لأنهم مترددون في اتباع الإسلام، وعلى سبيل المثال : وفد نجران ترددوا في أمر الإسلام، فقد ذكر المفسرون أن وفد نجران لما دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الملاعنة، قال لهم العاقب : لا نلاعنه فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح أبداً، ولا عقبنا من بعدنا، فلم يجيبوا إلى المباهلة وعدلوا إلى المصالحة .

وفائدة التذييل في هذه الآية : كون الحق عز وجل نوّه في أول الآية باليهود والنصارى؛ لأنهم مختلطون بالمسلمين في المدينة، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان، والإيمان خير لهم، فقال : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ من أجل أن يعلمهم بما يبعث في نفوسهم الخير[1] .

خيراً لهم في الدنيا والآخرة، ثم بين الله فقال : ﴿ مِّنْهُمُ

(١) تفسير القاسمي ٢/ ١١٤، ١٢٠ .

﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ وهذا ترغيب لأهل الكتاب في الإيمان فهو خير لهم في هذه الدنيا يستعصمون به من الفرقة والهلهلة التي كانوا عليها في تصوراتهم الاعتقادية والاجتماعية، وخير لهم في الآخرة يقيهم ما ينتظر غير المؤمنين من مصير، ثم هو بيان كذلك لحالهم لا يُبْخَس الصالحون منهم حقهم فقال: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ وقد آمن من أهل الكتاب جماعة، وحسن إسلامهم منهم عبدالله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعية، وإلى هؤلاء تشير الآية هنا بالإجمال وفي آية تالية بالتفصيل، أما الأكثرون فقد فسقوا عن دين الله حين لم يفوا بميثاق الله مع النبيين وفسقوا عن دين الله[1].

ومما يدل على مكانة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إسلامنا أن جعله الله أشرف صفة يتصف بها هذا المؤمن فقال: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[2].

المؤمنون الباذلون أنفسهم لله بثمن ألا وهو جنة عرضها السماوات والأرض وصفهم الله بأوصاف جليلة أول هذه الأوصاف إخلاصهم في جهادهم وإكثارهم لذكر الله والأوب والإنابة إليه وحده، مع خضوعهم لله وحمدهم له على كل حال

---

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٢٦٤، الآية ٥٢ من سورة آل عمران .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٤٤٩ بتصرف، والآية ١١٢ من سورة التوبة .

من أحوالهم، في حال صيامهم وقيامهم وجهادهم ودعوتهم وحفاظهم على الدين .

فالحكمة من تذييل هذه الآية بقوله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من وجوه :

١ ـ أي : زف إليهم يا محمد الخبر السار الذي يشرح صدورهم ويظهر البشر على وجوههم بأن الله وليهم وسوف يعطيهم عطاء غير مقطوع .

٢ ـ وبشرهم بأن الله حافظهم ومؤيدهم وموفقهم إلى سواء السبيل؛ لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾(١) .

٣ ـ بشارة المجاهدين في سبيل الله بالرضا عنهم كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(٢)، أهل الفضل جازاهم الله بالفضل، فالمؤمن الذي هاجر في سبيل الله وبذل نفسه ووقته وحياته من أجل إعلاء كلمة الله .

وختم الله هذه الآية بمنحهم الفوز وبيانه بأنهم هم

(١) سورة يونس، الآيتان ٦٣، ٦٤ .

(٢) سورة التوبة، الآيات ٢٠ ـ ٢٢ .

الفائزون، وهذه البشارة رحمة من الله وكرم لأوليائه؛ بل ومحبة لهم ثم كتب الله لهم الرحمة والرضوان، الذي هو أكبر لذة يجدها المؤمن الصادق في جنات عدن التي فيها النعيم المقيم من كل ما تتخيره نفسه وتستلذه عينه مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله؛ ولذلك ورد في الحديث زف هذه البشارة لهؤلاء المؤمنين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « . . . **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض**. . . »[(١)].

٤ ـ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: الراجعين إلى الله بقلوب ملؤها محبة الله والإيمان به والرغبة فيما عنده؛ ولذلك فإنهم يسارعون في الخيرات، ويتضرعون إلى الله رغبةً فيما عنده، قال تعالى: ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[(٢)]، وفي ذلك النعيم فليتسابق المتسابقون وليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة ربهم باتباع أوامره واجتناب نواهيه[(٣)]، ولذلك بشرهم الله بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾[(٤)] استحقوا البشارة من الله؛ لأنهم اجتنبوا الطاغوت من عبادة الأوثان والأصنام وغير ذلك من الأهواء والشهوات، وأقبلوا

---

(١) الحديث من صحيح البخاري، كتاب الجهاد والبر، باب درجات المجاهدين ٣/ ٢٠٢ .

(٢) سورة المطففين، الآية ٢٦ .

(٣) تفسير المراغي ١٠/ ٨٢ .

(٤) سورة الزمر، الآية ١٧ .

بقلوبهم وأبدانهم إلى ربهم إقبال المنيبين الراجين فيما عند الله من الثواب العظيم فاستحقوا البشارة؛ لأنهم أنابوا إلى ربهم فاستغفروا الله من ذنوبهم، فبشر عبادي يا محمد بالجنة والمغفرة والرضوان .

المطلب الثالث : مكانة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر :

مما يرفع مكانة العاملين والمبلغين لرسالات الله علمهم بالله وخشيته؛ لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1]، ومعنى الآية : أي الذين يبلغون أحكام الله وأوامره ونواهيه ويصدعون بها ولا يخافون قالة الناس ولائمتهم ولا يبالون بها في تشريعه، ولا ريب أن سيد الناس في هذا المقام؛ بل وفي كل مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الحسن البصري في وصف المؤمنين الذين يخشون الله، عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم : إن المؤمن جمع إحساناً وخشية والمنافق جمع إساءة وأمناً . وفي حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[2]، هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : « **لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون**

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٩ . .

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٦٠ .

ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات »[1].

وختم الله الآية بقوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ وفي ذلك فوائد منها :

١ ـ أن الله يبشر أولياءه الذين يقومون بالنصيحة على الوجه المطلوب يريدون الأجر والثواب منه تعالى فأعلمهم بأنه كافيهم وناصرهم وحافظ لأعمالهم محاسب لهم ومجازيهم عليها بالثواب العظيم .

٢ ـ سنة الله في نصرة أنبيائه وأتباعهم جارية وقد ضرب الله عز وجل أمثلة لذلك؛ فهذا إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام لما كاد له الكفار، وأرادوا أن يحرقوه قال : حسبي الله ونعم الوكيل، فكفاه الله أذى قومه وأمر الله النار أن تكون برداً وسلاماً، وهذا نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم لما قال له الناس : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾[2]، يريدون بذلك أن يوهنوا قلوبهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **حسبنا الله ونعم الوكيل** » فكفاه الله عز وجل .

٣ ـ يؤخذ من الآية أن الدعاة إلى الله الذين يبلغون الدعوة إلى الناس فاهمون عالمون بأن الله وليهم، فيخشونه في تبليغ دعوتهم ولا يبالون بالمثبطين والمرجفين، فهم على ثقة بأنهم

---

(١) الحديث من سنن الترمذي، كتاب التفسير (٣١٧٥) ٥/ ٣٢٧ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٣ .

على حق، وأن دينهم حق، ويسلكون في سبيل ذلك الأساليب التي فيها الرفق متأسين في ذلك بمنهج الأنبياء والمرسلين، قال تعالى آمراً موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[١] « هذه الآية فيها عبرة وعظة، وذلك أن فرعون كان في غاية العتو والاستكبار ومع هذا أمر ألا يخاطب إلا بالملاطفة واللين، والمعنى : أي أعذرا إليه وقولا له إن لك رباً ولك معاداً، وإن بين يديك جنة وناراً، ومفاد هذه الآية أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل قريب ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع »[٢].

ومما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من الأسباب الموجبة لرحمة الله قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣]، فالمؤمنون قلوبهم نظيفة، ملؤها الإيمان واليقين والأخوة الصادقة، بعضهم لبعض، يسود بينهم الإيثار والتواد والتعاطف، وقد صور النبي صلى الله عليه وسلم هذا المجتمع المتماسك فيما رواه النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد**

(١) سورة طه، الآية ٤٤ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥/٢٨٨ .
(٣) سورة التوبة، الآية ٧١ .

بالسهر والحمى »[1].

يأمرون الناس أن يعبدوا الله ويوحدوه، فهو المستحق للعبادة وحده دون سواه، ويأمرونهم بكل ما استحسنه الشرع، وينهونهم عن الشرك وعبادة الأصنام والأوثان وكل ما استقبحه الشرع فإنهم يحذرون الناس منه مع قيامهم الدائم ومحافظتهم على الصلاة بسننها وشروطها وواجباتها، فإن من يحافظ على السنن الرواتب بعد الصلوات من شأنه أن يحافظ على رأس المال وهو الفرض الواجب عليه من الصلوات الخمس مع امتثالهم لله في أدائهم لهذه الفرائض على الوجه الكامل متأسين في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتفين أثره ومستنين بسنته، من أجل حصولهم على رحمة الله التي وعدهم بها في قوله : ﴿ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

وختم الله عز وجل هذه الآية بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ وفي ذلك فوائد جليلة، منها :

الله جل جلاله هو العزيز الذي يعزّ أولياءه، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، فإنهم لما آمنوا بالله كتب لهم العزة فقال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[3]، ونصره لأوليائه في الدنيا بإيتائهم الآيات البينات كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ

---

(١) الحديث من صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين (٢٥٨٦) ٣/ ١٩٩٩ .

(٢) سورة المنافقون، الآية ٨ .

(٣) سورة غافر، الآية ٥١ .

ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[١]، وإيتائهم الحجج الظاهرة التي من شأن من تفكر فيها آمن بالله وصدق بما أنزله الله على رسوله، ينصرهم على أعدائهم كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾[٢]، وفي الآخرة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ويفصل بينهم وبين أعدائهم فيثبتهم ويثيبهم ويجزيهم الجزاء الحسن كما قال تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ اهـ .

قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣]، بيَّنا آنفاً بعض الدلالات من قوله : (العزيز) وأما قوله : (الحكيم) فمن دلالات هذا الاسم :

الله الحكيم أمر عباده أن يدعو إلى سبيله بالحكمة كما قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٤]، فالدعوة دعوة إلى سبيل الله لا لشخص الداعي ولا لقومه فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لا فضل له يتحدث به لا على الدعوة ولا على من يهتدون به وأجره بعد ذلك على الله .

والدعوة بالحكمة؛ وهي النظر في أحوال المخاطبين

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٣ .
(٢) سورة الحشر، الآية ٢ .
(٣) سورة الصف، الآية ١ .
(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

وظروفهم والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع بهذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه[1].

وليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد في الأمر والنهي مع الكبير والصغير والرجل والمرأة والمثقف والجاهل والأمير والحقير والغضوب والهادي، بل لا بد من تنويع أسلوب المخاطبة بما يناسب السن والثقافة والمركز الاجتماعي لكل فرد، ولا شك أن من يؤتى الحكمة في الإنكار على هذا النحو ﴿ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[2][3]، والحكمة إتقان العلم والعمل به فإن من عرف الحق وآمن به وعمل بما أمره الله به فإنه قد أوتي خيراً كثيراً إذ بالحكمة سعادة الدنيا والآخرة، أما سعادة الدنيا فإليها تشير الآية : « ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[4]، فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالاً صالحة إلا بالإيمان والإيمان مقتضٍ لها، فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة، وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٠٢ .
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩ .
(٣) فقه الدعوة للبلالي ص ٣٤ .
(٤) سورة النحل، الآية ٩٧ .

التفاته بما يشوش عليه قلبه »[١].

وأما السعادة للمؤمن في الآخرة فتكملة الآية تشير إليه بقوله : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[٢]، أي : ولنجزينهم في الآخرة بما أعد لهم من أصناف النعيم الذي يشير إليه الحبيب صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾** »[٣].

ومما يدل على مكانة العاملين قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٤]، قال الحسن البصري : هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته، فهذا حبيب الله هذا ولي الله فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد[٥].

فختم الله هذه الآية بقوله : ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ

---

(١) تفسير السعدي ٤/ ٢٣٩ .

(٢) سورة النحل، الآية ٩٧ .

(٣) الحديث من صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٢٤) ٣/ ٢١٧٤ .

(٤) سورة فصلت، الآية ٣٣ .

(٥) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٣ .

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ وفي ذلك من الأسرار والحكم الشيء الكثير، فمنه على سبيل المثال :

أولاً : في قوله : ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ :

١ ـ زاد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قيام الليل :

إن حياة الآمرين والمبلغين كلها عبادة لله، فوقتهم في الليل يعمرونه بالصلاة تنفيذاً لأمر الله في قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم والأمر له ولأمته : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

يقول سيد قطب رحمه الله في هذه الآية : « بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهجد، وبهذه الصلة الدائمة بالله، فهذا هو الطريق المؤدي إلى المقام المحمود، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به وهو المصطفى المختار، فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به في درجاته، فهذا هو الطريق، وهذا هو الزاد »[2]، فإذا آووا إلى مضاجعهم لينامو تتجافى جنوبهم عن الفرش وعن شهواتهم رغبة فيما عند الله وخوفاً منه، وقد مدحهم الله بذلك فقال : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٩ .

(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٤٧ .

(٣) سورة السجدة، الآية ١٦ .

يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش[١]، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **عجب ربنا عز وجل من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاة، فيقول ربنا : أيا ملائكتي انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه، من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزموا، فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع، فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه** »[٢].

وقوله : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٣]، إنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ويستغفرون من التقصير، وهذه سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به[٤].

يقوم المسلم بقيام الليل تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٦٤ .
(٢) الحديث من مسند أحمد ١/ ٤١٦ .
(٣) سورة الذاريات، الآيتان ١٧ ـ ١٨ .
(٤) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٠٣ .

الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »، وعن المغيرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم أو ليصلي حتى تَرِمَ قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »[1].

٢ ـ تلاوة القرآن الكريم :

المسلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يحافظ على تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار من أجل أن يحظى بثواب الله العاجل والآجل، ومن أجل أن يكون القرآن شافعاً له يوم القيامة؛ لما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** . . . »[2] الحديث، وقد وصف الله الذين آتاهم الكتاب بأنهم يتلونه حق تلاوته كما قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[3].

وقراءة القرآن تشهدها الملائكة كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[4]؛ لما جاء في حديث أبي

---

(١) الحديثان من صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي ٢/ ٤٤ .

(٢) الحديث من صحيح مسلم، كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن (٨٠٤) ١/ ٥٥٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢١ .

(٤) سورة الإسراء، الآية ٧٨ .

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح** »(١).

وقد ورد في قصة أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من القرآن سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت . . . فانصرف إلى ابنه يحيى وكان قريباً منها فأشفق أن يصيبه، فلما أخره رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أتدري ما ذاك ؟** » قال : لا يا رسول الله، قال : « **تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم** »(٢).

٣ ـ التزود بالعلم والعمل :

لقوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾(٣)، العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، وهذا العلم الذي أمر الله به، هو

---

(١) الحديث من صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قوله: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ ٥/ ٢٢٧ .

(٢) الحديث من صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة ٦/ ١٠٦ .

(٣) سورة محمد، الآية ١٩ .

العلم بتوحيد الله وهو فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائناً من كان بل كل مضطر إلى ذلك[١].

فالعلم من الأمور الأساسية التي لا يستغني عنها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وقد رفع الله تعالى مكانة العلم، وجعل للعلماء العاملين منزلة من أرفع المنازل فقال : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٢]، وقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣].

ثانياً : قوله : ﴿ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ :

فالمسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وتذوّق حلاوة الإيمان والعمل الصالح، يسعد بأن يقول للناس جميعاً بأني من المسلمين الذين أسلموا نفوسهم لله وطهروا قلوبهم من الأدران والمعاصي وتحابوا في الله وتآخوا في الله فهو وإياهم بمثابة البنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً كما جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه** »[٤].

---

(١) تفسير السعدي ٧/ ٧٣ .

(٢) سورة المجادلة، الآية ١١ .

(٣) سورة الزمر، الآية ٩ .

(٤) الحديث من صحيح البخاري كتاب المظالم، باب نصر المظلوم ٣/ ٩٨ .

ولقد جاء في القرآن الكريم موقف المؤمنين بعضهم من بعض في توادّهم ومحبة بعضهم، حتى بلغوا في محبتهم مبلغاً عظيماً مدحهم الله عليه وأثنى عليهم ورضي عنهم وكتب لهم الفلاح، فقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وهم يحرصون على العمل للخير في ضمن المجتمع المسلم الذي يسوسه أهل العلم الذين يخشون الله عز وجل ويبلغون رسالات الله وشعارهم المحبة في الله .

ولذا يسود بينهم التعاطف والتراحم؛ لأنهم في مجتمع إيماني يدين لله بالوحدانية ويحرص أفراده على أن يكون رأيهم واحداً وإن اختلفت أساليب دعوتهم فلا يؤثر ذلك على اختلاف قلوبهم؛ لأن أمرهم مجتمع آخذين بذلك بوصية النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنه حيث قال : خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية فقال : « يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال : أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهم الشيطان، عليكم بالجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من أراد

(١) سورة الحشر، الآية ٩ .

بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »[1]، والجماعة هم المؤمنون بالله وبرسوله المتحابون في الله ومن أجل الله والمؤتلفون على دين الله القائمون بأداء ما أوجبه الله عليهم على وفق مراد الله فيسود بينهم التعاون والتكافل والتراحم .

المطلب الرابع : الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دين وعبادة :

يلتزم المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأجل أن يحصل على النور والبصيرة، فالله يقول : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2] .

هذا مثل من هداه الله للإسلام بعد الضلالة وبصره بنور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق والباطل، والمهتدي والضال بمن كان ميتاً فأعطاه الحياة، وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص، فهو متحير على الدوام، ﴿ مِّنْهَا ﴾ أي : مثل ذلك التزيين البليغ ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ من فنون الكفر والمعاصي[3] .

---

(١) الحديث من سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٥) ٤/ ٤٦٥ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٢ .

(٣) تفسير القاسمي ٦/ ٧٨٠ .

فالداعي إلى الله من جملة الذين اكتسبوا نور الله واستجابوا لداعي الله، قال تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾[١]، فالداعي إلى الله يمشي بهذا النور، وهو ملتزم بمنهج الله داع إلى الله على بصيرة ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[٢]، فمن اتقى الله وأذعن لأمر الله اكتسب جزاءه الذي يمنحه الله المؤمنين والمؤمنات، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[٣]، والفرقان أصله الفرق والفصل بين الشيئين أو الأشياء، ويراد به هنا نور البصيرة الذي به يفرق بين الحق والباطل والضار والنافع[٤].

والمعنى : إن تتقوا الله فتتبعوا أوامر دينه وتسيروا بمقتضى سنته، في نظام خلقه، يجعل لكم في نفوسكم ملكة من العلم، تفرقون بها بين الحق والباطل، وهذا النور في العلم الذي لا يصل إليه طالبه إلا بالتقوى .

وبهذا النور وهذه البصيرة سار سلف الأمة من الخلفاء الراشدين، والصحابة الفاتحين والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم وأرضاهم، فنصرهم الله على أعدائهم .

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٣ .
(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .
(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٩ .
(٤) تفسير المراغي ٣/ ١٩٦ سورة الأنفال .

نلتزم بالدعوة إلى الخير لنبرهن عن قوة إيماننا لله ربنا : قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1] « أي : ولنختبركم بالأمر بالجهاد والدعوة إلى الله وسائر التكاليف حتى يتميز المجاهد الصابر من غيره، ويُعرف ذو البصيرة في دينه من ذي الشك والحيرة فيه، والمؤمن من المنافق ﴿ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ ونعرف الصادق منكم في إيمانه من الكاذب »[2]، وقيام المسلم بشعيرة الدعوة إلى الله فيه دليل على تقواه وإيمانه به؛ لما جاء في حديث أبي بكر وأبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان** »[3].

والشاهد من إيراد الحديث أن الاشتغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه دلالة على قوة الإيمان واليقين بالله .

وأما في حديث عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا**

---

(١) سورة محمد، الآية ٣١ .

(٢) تفسير المراغي ٩/ ٧٢ سورة محمد .

(٣) الحديث من صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (٤٩) ١/ ٦٩ .

يؤمرون، ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[(١)].

فنفى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإنسان ـ الذي يرى المنكر فلم يجاهد نفسه في تغييره ـ الإيمان فقال : وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، وشهد بالإيمان لمن غير المنكر بيده أو بلسانه أو بقلبه، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هو صاحب رسالة أيقن بها ودعا إليها الناس الضالين عن الهدى والحائرين في أودية الضلالة، الذين استجابوا لنزغات الشياطين ودعوات المفسدين، فصاحب الخير حريص على بني جنسه أن يسحبهم من الغواية إلى الهداية، قال تعالى : ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[(٢)].

وتذييل هذه الآية له أسرار بديعة، منها :

أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن للعالمين أن هدى الله هو الهدى وأننا من ثم أمرنا أن نسلم وننقاد لله رب العالمين، فهو وحده الذي يستسلم له العاملون، فالعوالم كلها مستسلمة له، فما الذي يجعل الإنسان وحده ـ من بين العالمين ـ

---

(١) الحديث من صحيح مسلم كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (٥٠) ١/ ٧٠ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧١ .

يشذ عن الاستسلام لهذه الربوبية الشاملة التي تستسلم لها العوالم في السماوات والأرض .

وفي إعلان الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه أنهم أمروا بالاستسلام فاستسلموا، إيحاء مؤثر لمن يفتح الله قلبه للتلقي والاستجابة على مدى الزمان[1] .

ويقوم الآمر بالدعوة إلى الله من أجل أن يحفظ الله له شأنه وعمله وأهله وذريته؛ لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[2]، يقول تعالى : آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا قولاً سديداً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وعدهم إن فعلوا ذلك أن يصلح لهم أعمالهم، أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها، وختم الله هذه الآية بقوله : ﴿ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] .

« ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ عطف على جملة ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أي : وتفوزوا فوزاً عظيماً إذا أطعتم الله بامتثال أمره، وإنما صيغت الجملة في صيغة الشرط وجوابه لإفادة العموم في المطيعين وأنواع الطاعات،

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١١٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠ ـ ٧١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٧٦ .

فصارت الجملة بهذين العمومين في قوة التذييل، وهذا نسج بديع من نظم الكلام وهو إفادة غرضين بجملة واحدة »[١].

﴿ فَقَدْ فَازَ ﴾ أكد ذلك بقوله : ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ أي : ظفروا بجميع مراد الله في الدنيا والآخرة .

الفوز في اللغة : النجاة والظفر بالأمنية والخير، والفوز هو الظفر بالخير والنجاة من الشر، يقال : فاز بالخير وفاز من العذاب[٢].

وقد بين الله جزاء المتقين في القرآن فقال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[٣]، المتقين الذين عملوا بأمر الله، ووقفوا عند حدود الله، ولم يتعدوها فأثابهم الله بالفوز العظيم، وهو النجاة من نار جهنم، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[٤]، وقوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[٥].

نلتزم بالقيام بالدعوة إلى الله؛ لأن عاقبة الأمور لله عز وجل، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٦]، قال ابن عباس : المراد المهاجرون والأنصار والتابعون لهم

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ١٢٣ سورة الأحزاب .
(٢) اللسان مادة (فوز) ٥/ ٣٩٢ .
(٣) سورة النبأ، الآية ٣١ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨٥ .
(٥) سورة النور، الآية ٥٢ .
(٦) سورة الحج، الآية ٤١ .

بإحسان، قال الحسن : هم هذه الأمة إذا فتح الله عليهم أقاموا الصلاة، وقال الضحاك : هو شرط شرطه الله عز وجل على من آتاه الله الملك[1].

ختم الله الآية بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ وفي ذلك من الحكم الشيء الكثير، منها :

إعلام الله لعباده المؤمنين المقيمين للصلاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأن عاقبة الأمور له سبحانه وتعالى لا لغيره، فعليهم أن يؤمنوا بذلك ويعملوا صالحاً، ويبلغوا دعوة ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ابتغاء الأجر من الله، ويبذلوا أنفسهم وأوقاتهم وأموالهم في سبيل الله، فإذا فعلوا ذلك جاءهم نصر الله وتحقق وعد الله بأن العاقبة للمؤمنين . هذا قضاء الله وأمره نافذ ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]، فالصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم مكنهم الله في جزيرة العرب بقيادة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، فلما قضى نحبه عليه الصلاة والسلام جعل الله عاقبة الأمور لأوليائه وأخزى أعداءه وأذلهم وأركسهم، فنصرهم الله على الدولة العظمى الفارسية التي كانت تصول وتجول في عصر كسرى وأبنائه، ونصرهم الله على الدولة الرومانية التي أخزاها الله وجعل عاقبة الأمور للقائمين بشرعه العاملين بسنة نبيه من الصحابة

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٧٣ .

(٢) سورة يَس، الآية ٨٢ .

والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم أجمعين .

نلتزم بالدعوة إلى الله تحقيقاً لوعد الله عز وجل :

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] .

فإنه سبحانه وتعالى وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، فيكونون هم الخلفاء المتصرفين في تدبيرها، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، فهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، وأنه يبدلهم أمناً من بعد خوفهم . . . فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض . . . فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها وحصل الأمن التام والتمكين، فهذه من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله به[2] .

يقوم الآمرون بتبليغ رسالات ربهم وهم يعلمون أن الله مؤيدهم وناصرهم، ويدافع عنهم، كما قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥ .

(٢) تفسير السعدي ٥/ ٤٣٩ .

يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾(١).

وقد ضمن الله للمؤمنين أنه هو يدافع عنهم، ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع حتماً من عدوه، وظاهر حتماً على عدوه.

وختم الله الآية بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ فعلم بأنه تعالى يحب أولياءه المؤمنين به المتبعين لسنة نبيه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾(٢)، ومن أحبه الله تولاه ومن تولاه نصره وخذل عدوه، ولكن بشرط أن يعمل؛ لأن الله جعل هذه الدنيا دار ابتلاء، فمن آمن بالله واعتصم بحبل الله عاملاً بكتاب الله متأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يحصل على الخير في الدنيا والآخرة ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(٣).

المطلب الخامس: أجر العاملين من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر:

أمر الله المؤمنين أن يتأسوا بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم وسلوكهم فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾(٤)، يقول تعالى ذكره: لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في

---

(١) سورة الحج، الآية ٣٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١.
(٣) سورة النمل، الآية ٨٩.
(٤) سورة الممتحنة، الآية ٦.

الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ أي : لمن كان منكم يرجو ثواب الله والنجاة في اليوم الآخر(١).

ثم ختم الله هذه الآية بقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ ومعنى هذا التذييل أي : ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم، فأعرض عنه وأدبر مستكبراً، ووالى أعداء الله وألقى إليهم بالمودة، فإن الله هو الغني عن إيمانه وطاعته إياه وعن جميع خلقه، الحميد بآلائه ونعمائه التي أسبغها عليهم .

فهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول الله عنه : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾(٢)، هكذا إعلان صريح واضح حتى يعلموا أن الذي يبلغهم الرسالة آناء الليل وأطراف النهار ويجدد في أساليب دعوته، كما قال الله عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ ولكن الجحود والاستكبار جعلهم مستنكفين بنبي الله نوح ويفرون منه وهو يلاحقهم بالدعوة في منتدياتهم وخلواتهم : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾(٣)، يقوم بهذا الجهد كله من أجل أن يؤمن هؤلاء القوم بالله رب العالمين .

وهذا نبي الله هود عليه الصلاة والسلام يعلن لقومه فيقول :

---

(١) تفسير الطبري ٢٨/ ٤٢ .

(٢) سورة هود، الآية ٢٩ .

(٣) سورة نوح، الآيات ٥ ـ ٩ .

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1].

ختم الله الآية الأولى بقوله : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ .

الافتراء : الكذب واختلاقه، فهؤلاء القوم مفترون بكذبهم على الله وباتخاذهم الأصنام والأنداد من دون الله .

وختم الله الآية الثانية بقوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ أفلا تعقلون أن عبادة غير الله من الأصنام والأوثان وهي لا تملك جلب نفع ولا دفع ضر، والحال أنكم تصرفون العبادة لها من دون الله، وأنا أدعوكم إلى الله الواحد الأحد الذي له ملك السماوات والأرض وهو ربكم ورازقكم، وهو الذي يحييكم ويميتكم ثم إليه ترجعون .

فأجر العاملين المحسنين من الأنبياء والمرسلين على الله، كما قال تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]، والجنة درجات، كما قال : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾[3].

وقد ورد في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **سأل موسى عليه الصلاة**

---

(١) سورة هود، الآيتان ٥٠، ٥١ .

(٢) سورة يونس، الآية ٢٦ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٣٢ .

والسلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيىء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له : ادخل الجنة، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة : هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك، فيقول : رضيت رب، قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على قلب بشر »[١] .

وقد وردت مضاعفة الأجر على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : الحسنة بعشر أمثالها ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٢]، فهنيئاً للعاملين المخلصين الذين يغرسون الخير ويضاعف لهم أضعافاً مضاعفة .

المرتبة الثانية : الحسنة بسبعمائة ضعف، فبكل درهم أو دينار سبعمائة ضعف ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٣]، فيزيده زيادة لا حصر لها .

---

(١) الحديث من صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٨٩) ١/ ١٧٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٠ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦١ .

المرتبة الثالثة : مضاعفة الأجر بغير حساب ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، فلهم أجر عظيم لا يقدر قدره إلا الله؛ ذلك لأنهم احتسبوا أجرهم على ربهم وصبروا وصابروا ورابطوا، فحصل لهم الفلاح والفوز برضوان الله في جنة عرضها السماوات والأرض .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء** »[2].

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه، أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : « **إن للمؤمن لخيمة في الجنة من لؤلؤة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً** »[3].

فإيمان العاملين بالله واليوم الآخر يجعلهم يجتهدون ويجاهدون أنفسهم في ذات الله، كما قال الله عنهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الزمر، الآية ١٠ .

(٢) الحديث من صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف (٢٨٣٠) ٢/ ٢١٧٧ .

(٣) الحديث من صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة، باب في صفة خيام الجنة (٢٨٣٨) ٣/ ٢١٨٢ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٦٩ .

﴿ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾ أي : جاهدوا في الله حق جهاده؛ فتراهم في ليلهم ونهارهم وهم مجتهدون في عبادة ربهم، مخلصين لله راجين فيما عند الله .

خامساً : نلتزم بالدعوة مخافة عقاب الله في الدنيا والآخرة :

فالدعوة إلى سبيل الله نجاة المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة؛ نجاتهم من غضب الله عز وجل وفوزهم برضا الله عز وجل، وقد ضرب الله لنا مثلاً قرية من قرى بني إسرائيل، قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾[1] الآيات، يخبر الله عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق، فرقة ارتكبت المحظور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أي : لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله ؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم، قالت لهم المنكرة : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي : نفعل ذلك معذرة إلى ربكم فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ أي : ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ ﴾ أي : فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا

(١) سورة الأعراف، الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥ .

﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أي : ارتكبوا المعصية ﴿ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا، ومع هذا اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أم كانوا من الناجين ؟[1].

فيقوم المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من اللعنة التي تحق على من رأى المنكر ولم يغيره، كما بين الله لنا عن قوم من بني إسرائيل أنهم لا يتناهون عن منكر فعلوه، فلذا حق عليهم غضب الله .

قال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[2].

فختم الله الآية الأولى في هذا السياق ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ عصوا الله عز وجل وعصوا رسله، وكذبوا بما أنزله الله عليهم ﴿ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الاعتداء : هو مجاوزة الحد والظلم فقد جاوزوا حدود الله وتعدوها فضلوا وأضلوا إضافة إلى اعتدائهم وظلمهم .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٤ .

(٢) سورة المائدة، الآيات ٧٨ ـ ٨٠ .

وختم الله الآية الثانية ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (بئس : نقيض نعم، فبئس تشمل جميع المذام، كما أن نعم تقتضي جميع المحامد، والمعنى في الآية جميع المذام لاصقة بهؤلاء الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم، مع أنهم يعلمون كتاب الله وسنة رسول الله ويخالفون ذلك، فلبئس الفعل فعلهم »[١].

نلتزم بالقيام بالدعوة إلى الخير لاستبقاء الناس :

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[٢].

هذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم، فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله في صورة من صوره، فيوجد من ينهض لدفعه، هي أمم ناجية لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون ويفسد فيها المفسدون فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحق عليها، إما بهلاك الاستئصال وإما بهلاك الانحلال والاختلال ! .

فأصحاب الدعوة إلى عبودية الله وحده، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره، هم صمام الأمان للأمم

---

(١) عمدة الحفاظ ص ٣٧ .

(٢) سورة هود، الآيتان ١١٦، ١١٧ .

والشعوب، وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار العبودية لله وحده، الواقفين للفساد والظلم بكل صوره . . . إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله واستحقاق النكال والضياع[١].

وختم الله هذا السياق بقوله : ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ وهذا فيه دلالة على أن الصلاح والإصلاح في أي مدينة أو قرية أو فئة من الناس يكون سبب خير على البشرية جمعاء بل وعلى الطير في الهواء والهوام والحيوانات وجميع الدواب التي تدب على وجه الأرض ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ أي : صالحون في أنفسهم مصلحون لغيرهم، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء** »[٢].

وفي حديث زيد بن ملحة عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها . . . إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي** »[٣].

والغرباء هم العلماء العاملون، وطلبة العلم المخلصون،

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٣٣ .

(٢) الحديث من صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً (١٤٥) ١/ ١٣٠ .

(٣) الحديث من سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً (٢٦٣٠) ٥/ ١٨ .

ويشمل أيضاً كل من أصلح نفسه وسعى في إصلاح غيره من أولي الألباب .

المطلب السادس : صفات الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر :

١ ـ استجابتهم لله في أخذ أساليب الدعوة على وفق ما أمر الله به :

أمر الله المسلمين بالدعوة إلى سبيله فقال : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] فأمرهم أولاً بالدعوة إلى سبيله، ثم بين لهم الصفات اللازم توفرها فيمن أهل نفسه لدعوة الغير، فالداعية يجب أن يدعو إلى سبيل الله بالحكمة أولاً، ثم بالموعظة الحسنة التي من شأن من يتقنها ويجيدها يؤثر فيمن يدعو، ثم المناظرة والمجادلة بالحسنى التي هي الأخلاق الفاضلة .

وختم الله الآية : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ليبين للدعاة بأن الله هو العليم بالمنحرف الضال، وبالصالح المهتدِ، وفي هذا فائدة جليلة وهي أن يبذل الداعية إلى الله السبب والوسيلة التي استحسنها الشرع، فإن أدت إلى فائدة مرجوة فتلك بغيته، فإن لم تؤدِّ إلى أي فائدة تذكر فيكون قد أدى واجبه على صورة مرضية والنتائج على الله، إن شاء الله عجلها وإن شاء بقدرته أخرها، فهو الحكيم العليم سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

٢ ـ الشفقة على المؤمنين والرحمة بهم :

قال تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[١]، أي : وقولوا لهم القول الطيب وجادلوهم بأحسن ما يحبون[٢].

والداعي إلى الله مطالب بالرفق واللين بمن يدعوه، وأن يقول له قولاً طيباً رفيقاً رقيقاً، ولو كان هذا المدعو فاجراً أو طاغية، فالله سبحانه أمر موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام أن يخاطبا فرعون الذي طغى وادعى الربوبية فقال الله : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٣]، أي : سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، لعله بسبب القول اللين يتذكر ما ينفعه فيأتيه، أو يخشى ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه[٤].

وختم الله هذا السياق بقوله : ﴿ لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ فإن الآمر المبلغ لدين الله يجب أن يستجيب لمن يدعوه إلى الله، بل ويحرص على ذلك ويدعو الله قبل مباشرته في دعوته وفي أثناء دعوته وبعد ذلك، في كل حال وهو يتضرع إلى الله أن يستجيب هذا الإنسان لربه ويؤمن به .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨٣ .

(٢) روح المعاني ١/ ٣٠٨ .

(٣) سورة طـه، الآيات ٤٢ ـ ٤٤ .

(٤) تفسير السعدي ٥/ ١٥٩ .

وهذا يدل على أهمية الأخلاق الفاضلة من الرفق والرحمة واللين وطيب الكلام مع من يدعوه، لعله يتذكر ويتعظ، ويفر إلى الله عز وجل، ويقبل إليه منيباً تائباً، أو يخشى الله عز وجل، فيبادر بالإذعان لأمر الله وبطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما يدل على أهمية الرفق والرحمة في الدعوة إلى الله ما حباه الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] « فهي رحمة الله نالته ونالتهم، فجعلته صلى الله عليه وسلم رحيماً بهم ليناً معهم، ولو كان فظًّا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . . . فهم في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنِّيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا . . . هكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كانت حياته مع الناس »[2].

وقد حثنا رسولنا صلى الله عليه وسلم على حسن الخلق، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً**

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٥٠٠ .

يوم القيامة ؟ فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثاً، قال القوم : نعم يا رسول الله . قال : **أحسنكم خلقاً** »[1].

٣ ـ محبة بعضهم بعضاً :

المبلغون لأمر الله إلى عباد الله لا بد أن يسود بينهم الإخاء الصادق الذي يكون في الله ومن أجل الله، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف به في النار** »[2].

وأول عمل عمله النبي صلى الله عليه وسلم بعد بنائه المسجد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبلغوا فيها أعلى درجات الإخاء، ومدحهم الله لذلك في محكم التنزيل فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3].

وختم الله الآية بقوله : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

---

(١) الحديث من مسند أحمد ٢/ ١٨٥ .

(٢) الحديث من صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل على الكفر ٨/ ٥٦ .

(٣) سورة الحشر، الآية ٩ .

﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ لأنهم انتصروا على أنفسهم وآمنوا بربهم وصدَّقوا بنبيهم وآثروا إخوانهم على أنفسهم بأموالهم وديارهم، بل وطابت أنفسهم بما حظي به إخوانهم من المهاجرين من مال الفيء الذي أفاءه الله على رسوله، فكانت النتيجة السعادة والفوز بالحياة الطيبة الآمنة في الدنيا، وبالفوز برضوان الله في جنات النعيم .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

فذكرت هذه الآية جملة من صفات المؤمنين :

١ ـ ولاء بعضهم لبعض ومناصرة بعضهم بعضاً في السراء والضراء .

٢ ـ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

٣ ـ محافظتهم بإقامة الصلاة في وقتها في بيوت الله .

٤ ـ يؤتون الزكاة .

٥ ـ طاعتهم لله ولرسوله .

وذيل الله الآية بقوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فمن اتصف بهذه الصفات فإنه سيحظى بإذن الله برحمة الله التي قال عنها : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ

(١) سورة التوبة، الآية ٧١ .

يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وهو العزيز الذي كتب العزة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين، وهو الحكيم الذي يمن على عباده ويهديهم لحكمته ويؤتيهم إياها كما قال : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾[2].

المطلب السابع : نموذج من حياة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر :

النموذج الأول :

من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو خليل الله إبراهيم الذي قال فيه ربه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

فذكر الله ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق، بألطف عبارة وأحسن إشارة، بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه، فكيف تغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر !؛[4] لقوله : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[5].

فختم الله الآية بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ فجمع له

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٦ .
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩ .
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٥١ .
(٤) قصص الأنبياء، ص ١٢٤ .
(٥) سورة مريم، الآية ٤١ .

بين الصِّدِّيقية والنبوة .

فالصديق كثير الصدق فهو الصادق في أقواله، وأفعاله، وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به، وإبراهيم عليه السلام أفضل الأنبياء كلهم، بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[١] .

وقد أمرنا الله عز وجل بالمجاهدة في الالتزام بدينه حق الالتزام فقال : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[٢]، فأمرنا الله بأن نتبع ملة أبينا إبراهيم فقال : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ ﴾ أي : اتبعوا ملة أبيكم، أو نصب على الاختصاص، أي : أعني بالدين ملة أبيكم وسماه أباً وإن لم يكن أباً للأمة كلها؛ لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباً لأمته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده[٣] .

وورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنما أنا لكم بمنزلة الوالد** »[٤]، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام أبونا كما قال تعالى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ ﴾ ورسولنا صلى الله عليه وسلم من سلالته .

وفي حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال : سمعت

---

(١) تفسير السعدي ٥/ ١١٠ .

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨ .

(٣) تفسير النسفي ٣/ ١١٢ .

(٤) الحديث من سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب كراهة استقبال القبلة (٨) ١/ ١٨ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم** »[1].

فحكى الله لنا في محكم التنزيل إنكار إبراهيم على أبيه وقومه عبادة الأوثان والأصنام؛ لقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

ثم بين الله لنا الأسلوب الأمثل الذي استخدمه إبراهيم عليه السلام مع أبيه فقال : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾[3].

ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل[4].

فالوقفة الأولى : التي بدأ بها إبراهيم أن قال لأبيه : ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

---

(١) الحديث من صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم (٢٢٧٦) ٢/ ١٧٨٢ .

(٢) سورة الصافات، الآيات ٨٥ ـ ٨٧ .

(٣) سورة مريم، الآية ٤٢ .

(٤) تفسير أبي السعود ٥/ ٢٦٧ .

علم إبراهيم أن في طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير، كيفما بلغ حاله في الحذق وبخاصة الآباء مع أبنائهم، وتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماءً إلى أنه مخلص له النصيحة، وألقى إليه حجة فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطىء، منبهاً على خطئه عندما يتأمل في عمله، فإنه إن سمع ذلك وحاول بيان سبب عبادة أصنامه لم يجد لنفسه مقالاً، ففطن لخطل رأيه وسفاهة حلمه، فإنه لو عبد حيًّا مميزاً لكانت له شبهة ما، وابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس، إذ قال له : ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ ثم انتقل إلى ما يخالج عقل أبيه عن تلقي الإرشاد من أبيه؛ لقوله : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

وهذه **هي الوقفة الثانية مع أبيه** : يقول له فيها : يا أبت وإني من صلبك وترى أني أصغر منك لأني ولدك، فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك بعده[2]، فاتبعني أهدك طريقاً مستقيماً موصلاً إلى نيل المطلوب ـ وهو رضوان الله والظفر بما أعده في جناته جنات النعيم لمن اهتدى، والنجاة مما أعده الله وتوعد به كل كافر اتبع هواه وعبد شيطانه .

الوقفة الثالثة : بين له السبب الذي أدى به إلى عبادة الأوثان والأصنام والتعلق بها ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ أي : لا تطع

(١) التحرير والتنوير ٨/ ١١٣ سورة مريم، الآية ٤٣ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٢٩ .

الشيطان في عبادة هذه الأصنام فإنه هو الداعي إلى عبادتها والموسوس بها، وقد بين الله ما عهده إلى بني آدم من أن السبب في الكفر هو طاعتهم للشيطان، فقال : ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[1][2]، أي : لا تطع الشيطان فيما يأمرك به من الكفر، ومن أطاع شيئاً في معصية الله فقد عبده .

وقد حرص إبراهيم عليه السلام في ملاطفة أبيه ومناصحته في بيان سبب كفره وعبادته، وأنه الشيطان الرجيم هو الذي سوَّل للإنسان ودعاه إلى عبادة هذه الأوثان التي لا تضر ولا تنفع، فالذي يعبد الأصنام والأوثان فكأنما عبد الشيطان؛ لأنه أطاعه وانقاد له، ولذا فإن إبراهيم وعظ أباه موعظة بليغة وبين له أن الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم وكان للرحمن عصياً .

ثم حذره عاقبة عصيانه، وعبادة الأوثان والأصنام، فقال له : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ وأنت على شركك وعصيانك لما أمر به ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ فلا يكون مولى ولا ناصراً ولا مغيثاً إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك، كما قال تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[3] .

---

(١) سورة يَس، الآية ٦٠ .

(٢) تفسير المراغي ٦/ ٥٦ سورة مريم.

(٣) سورة النحل، الآية ٦٣ .

يقول الله تعالى مبيناً لنا جواب أبي إبراهيم : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ فقال إبراهيم مجيباً على أبيه : ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

النموذج الثاني :

لرجل صالح ذكره الله في القرآن فقال : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾[2] الآيات، قال ابن عباس : هو حبيب النجار، سمع بهؤلاء المرسلين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام إلى أهل أنطاكيا، فجاءهم فأسلم وقال لهم : تسألون أجراً فقالوا : لا، فقال لقومه داعياً لهم : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3]؛ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا عما يشهد العقل الصحيح بقبحه، وكأن قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل وإخلاص الدين لله وحده، فقال : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي : وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة؛ لأنه هو الذي خلقني وفطرني ورزقني، فإليه مآل جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم .

---

(١) سورة مريم، الآيات ٤٦ ـ ٤٨ .

(٢) سورة يس، الآيتان ٢٠، ٢١ .

(٣) الدر المنثور ٧/ ٤٩ .

فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعاً، ولا ضراً، ولا عطاء ولا منعاً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغني شفاعتهم عني شيئاً ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ من الضر الذي أراده الله بي ﴿ إِنِّىٓ إِذًا ﴾ أي : إن عبدت آلهة هذا وصفها ﴿ لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فجمع في هذا الكلام بين نصحهم، والشهادة للرسل بالرسالة، بالاهتداء والإخبار بتعين عبادة الله وحده .

وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيمانه جهراً، مع خوفه الشديد من قتلهم فقال : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ فقتله قومه لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به ﴿ قِيلَ ﴾ له في الحال : ﴿ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ ﴾ مخبراً بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحاً لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴾ أي : بأي شيء غفر لي فأزال عني أنواع العقوبات ﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ بأنواع المثوبات والمسرات، أي : لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم[1] .

ومن خلال استعراضنا السريع لتجربة نبي الله إبراهيم عليه

---

(١) تفسير السعدي ٦/ ٣٤١ .

السلام في محاورته لأبيه أستخلص هذه الثمرات :

١ ـ معاملة أبيه بالحسنى، مع اعترافه له بحق الأبوة وحرصه على استسلامه لأمر الله عز وجل .

٢ ـ استسلامه لأمر الله عز وجل .

٣ ـ سلوكه في دعوته المنهج الأمثل المعتمد على الدليل والبرهان .

٤ ـ الإخلاص في نصحه وتحذيره من عاقبة الشرك، فإن عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة .

٥ ـ موقفه العجيب عندما هدده بالرجم والهجران فقال له : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ فينبغي للداعية أن يعلم بأن هذا الموقف سنة؛ ذكره الله عن نبيه لأجل أن نتمسك به، ووصف الله المؤمنين إذا خاطبهم أو اعترضهم الجاهلون بموقف من مواقفهم الساخرة قالوا : سلاماً، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[1] .

ومن خلال استعراضنا لذلكم الرجل الصالح نستفيد هذه الفوائد :

١ ـ الإخلاص في نصيحة القوم والعشيرة : سلوك الرجال الصادقين المؤمنين بالله .

٢ ـ صبره واحتسابه حينما لاموه وكذبوه في تصديقه

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٣ .

وإيمانه بهؤلاء المرسلين .

٣ ـ شجاعته ووعيه؛ لقوله : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ فمن رضي بالله رباً وخالقاً ورازقاً، وآمن بأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ثبت على الحق ونطق بالحق، لا يخاف إلا الله عز وجل .

٤ ـ بيان الداعية لقومه بأن معبوداتهم هذه التي يعبدونها لا تغني شفاعتهم عنهم شيئا ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] .

٥ ـ الجهر بإيمانه كما قال الله تعالى عنه : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ أعلنها صريحة، وهو يعلم أنهم سيقتلونه ولكنه بذل نفسه لله ومن أجل الله، وفعلاً قتلوه، ولذلك أكرمه الله بالجنة التي هي دار الأبرار .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .